

# السَّيِّغُ سَلِيمَانُ ظَاهِرٌ

١٨٧٣ - ١٩٦٠

بنلم

جرجي ابراهيم نصر

بكاين « لندن »

هو من عائلة ظاهر ، المعروفة في عداد العائلات الكريمة في النبطية .  
وحده العائلة فريق منها في النبطية ، وفريق في كفررمان . دخل في حداثة  
سنه مدرسة الحميدية في النبطية التي أسسها العلامة السيد حسن يوسف  
مكي الخجند الكبير - وهي مدرسة دينية وعلمية وأدبية ، وكانت على صورة  
معصرة من الأزهر في مصر أو مدرسة الخجنديين في النجف الأشرف في  
العراق - فأظهر اجتهاداً ونبغ في العلوم الدينية والآداب ، وأخذ يكتب في  
بعض الجرائد والمجلات نثراً وشعراً ، فظيرت له مقالات قيمة وقصائد  
بلغت ، وأخرج عدة تآليف أدبية ودينية وعلمية وتاريخية وشعرية ، ولوفرة  
علمه وأدبه واعترافاً بسعة اطلاعه وتضلعه من اللغة العربية ، عينه الخبير  
العلمي العربي بدمشق عضواً فيه .

وكان ، رحمه الله ، ممن يوسم بالمكانة الأدبية في جيل عامل ، كما كان  
من خيرة المحققين في البحث التاريخي والأدبي واللغوي ، يتجرد عن ذكر  
الحوادث إلا التي تصدق روايتها ، ويصح ذكرها ، كما كان من الذين  
يرتقون بتبعاتهم ، وصحة أحاديثهم ، وقوة ثقاتهم ، ودقة ملاحظاتهم ، ويعتمد  
على سداده في صحة كل ما يكتبه ويرويه ، إلا أنه كان يكثر المتاريد والتقارب  
في أسلوبه الإنشائي ، كالتقارب والتقاطع ، والتقارب والتحابب ، مع أن  
لكل من اللغتين معنى واحداً ، وهذا دليل على الاسترسال ، وجموح  
التلم ، وسعة الاطلاع ، وغزارة المادة اللغوية ، وقد كان الفقيه يحرص بأن  
يعرف كشاعر مجيد أكثر منه ككاتب بليغ ، بينما هو ، بعكس ذلك ،

كتب من الطبقة الأولى وشاعر من الطبقة الثانية . ولعل ذلك من باب قول الشاعر : أحب شيء إلى الإنسان ما سُعَا .

وقد ربطتني به رابطة الأدب بالمراسلة . فجاد عليّ : رحمه الله ، بوضع رسائل تاريخية . نشرها حفظاً لصيغتها وطابعها الأدبي . واعطاء فكرة عن طريقة الترسّل في جبل عامل من مشيخة العلم والأدب فيه قال : رحمه الله :

الرسالة الأولى :

### نخبة من تاريخ النبطية

النبطية برّد ذكرها تاريخ الحكم الاقطاعي في العهد التركي وولاية المعين والثنيايين . ووقع فيه عدة حوادث مبسّطة في الكتب التاريخية التي كانت تدونها ومنها تاريخ الصفدي والأمير حيدر الثنياني وتاريخ سورية للمرحوم المطران يوسف الدبس وكل من عني بهذه الناحية التاريخية .

وكان مرقعنا الجغرافي وهي على بعد ثلاثين كيلومتراً عن صيداء قاعدة الولاية العثمانية . وعن صور على بعد اربعين كيلومتراً . وعن مرجعيون التي كانت في حكم الثنيانيين نحو ٢٥ كم : وصلة الرّصل بين هذه القواعد . وكانت صور في أكثر الأحيان في حكم آل الصغير الراهليين : وكانت النبطية إحدى قواعد المقاطعات الثمان التي كانت موزعة بين الحكام البامليين من آل الصغير وصعب ومنكر ويبد حكّام النبطية من آل صعب كانت قلعة الشقيف التي تبعد عنها نحو سبع كيلومترات وسمي باسم مقاطعة الشقيف . كل ذلك كان يحجر عليا في أكثر الأحيان بلاء ذلك الطاحن بين الاقطاعيين فنذع بحث ذلك اليكم واستقصاءه من مظانه الكثيرة التي هي تحت تناولكم .

ونذكر نخبة من تاريخها الحديث الذي زال عنها فيه كابوس الأحكام الاقطاعية . ان للنبطية بنسب كثير من رجالات العلم في العصور التي كاد يكون فيها جبل عامل مدرسة : وكانت المدرسة الأولى التي نشأت فيه وأفاضت النور على هذا القطر هي مدرسة جزين التي ازدهرت بعهد الإمام الشهيد محمد شمس الدين بن مكّي وآبائه من قبل ، وكانت لها الرحلة من الآفاق الأمامية ، ويمتد ذلك الى أكثر من ستائة سنة ، وفي النبطية قامت معاهد للعلم كما قامت في كثير من القطر العالمي معاهد علمية .

والنبطية أول بلد نهض في العهد الجديد بمبادرة ركب التعليم الجديد . وكان النضل في انشاء أول مدرسة من هذا النوع للمرحوم رضا بك الصلح واللد العتري العظيم الشهيد رياض بك الصلح : وتمشت على هذه الخطة الرشيدة فكانت انقذوا الخسة للبلاد العاملة . وإلى مدرستها هاجر لتعليم من مختلف انحاءها قسم كبير تلقوا منها التعليم .

وكانت نفوسها الى سنة ١٩٢٣ لا تزيد عن ثلاثة آلاف : وهي تبلغ في هذا اليوم تسعة آلاف أو تزيد ، وفيها ثلاث مدارس أميرية . اثنتان للذكور وواحدة للاناث . وهي أول ما عنيت بتعليم البنات . وجمعية المناهضة الخيرية الاسلامية التي أسست منذ ستين عاماً مدرسة للذكور ومدرسة كبرى للاناث تسمى بمدرسة الزهراء . خيئة البناء . قائمة في أجمل موقع : تبلغ عدد تلميذاتها ثلاثمائة تلميذة : وفي كل عام يخرج منها العشرات من حاملات الشهادة الابتدائية : وفيها صف للشهادة التكميلية (البروفيه) وكما تيسر في التعليم على مناجح التعليم اللبناني .

ولسبشرين الاميركان مدرسة للاناث قائمة في الموقع الشرقي من النبطية . وتبلغ تلميذاتها زهاء (٢٥٠) وبالجملة فان عدد المتعلمين والمتعلمات يبلغ ربع نفوس ساكني البلد أو يزيد : وتكاد الأمية يزود شحيحاً منها .

أساحمة الشهادات العالية من هذا البلد سواء أكان في الطب أم في اغمامة أم في السياسة أم في التعليم أم في الزراعة وشهادات التعليم والابتدائية والتكميلية تبلغ المئات : ومن النبطية أول حائر على شهادة التربية والتعليم من مدارس الاستانة في العهد العثماني هو المرحوم رشيد حكمت فياض المتوفى قتيلاً في دمشق .

وأول مخترع لبناني مشرق المرحوم حسن كامل الصباح صاحب سبعة وخمسين اختراعاً مسجلاً في الولايات المتحدة : وفيها الكتاب والشعراء والفقيهون والمؤلفون ورجال الدين البارزين : وهي في هذه الناحية سائرة بخطى واسعة ضاربة الرقم القياسي بالبعثات العلمية الى المعاهد الاميركية والفرنسية .

والنبطية تجاري مهم جداً ومركز زراعي وخاصة في زراعة التبغ التركي الذي هو بلد لبناني عني في زراعته واستخراج أجراً أصنافه ، والنتروج من في كل عام لا يقل عن مئة ألف كيلو ، وعن النبطية أخذت أصول زراعته وتعميرها أكثر البلاد العاملة : ولو وزعت زراعته توزيعاً عادلاً وهي من مزاحمة التبغ الاجنبي ، لكان لهذه البلاد الجبلية منه أضخم مورد ينهض بالبلاد اقتصادياً وينقل من الهجرة التي كادت تخليه من العاملين .

والنبطية منسمة الى أربعة احياء . حيّ اليّاض وهو غربيّ البلد . وحيّ السراي وهو الى جنوبيها . وحيّ الميدان وهو الى الشرق وكذلك حيّ المسيحيين .

وجلّ المسيحيين انتقلوا اليها واستوطنوها في حوادث الستين وهم مسلموها على أنّهم وفاق ولم يقع بينهم خلاف قطاً .

وفيها نهضة عمرانية رائعة وفيّ أبنيتها الجديدة سواء أكانت في الدور اخذتة الجديدة ام البيوت التجارية ما لا يقلّ روعة عن أبنية بيروت وصيدا . وزاد في تحسين مستواها العمرانيّ توسيع شارعنا الكبير (البولفار) الذي يصلنا من الشمال بصيدا ومن الشرق بمرجعيون ويصلنا بصور طريق معبد .

وان انتقل الكبير بلوغنا هذا المستوى العمرانيّ يرجع الى الزعيم يوسف بك الزين المعروف بجره اليها مياه نبعة انطاسة الصافية المعصومة من الجراثيم . وأنشئت فيا البياتين واخذائق حتى أصبحت مصيفاً بحق لوشملها عناية الحكومة فأدرجتها في سجلّ مصايفها .

وفي النبطية داراً للحكومة أنشئت منذ ثمانين سنة في عهد مديرية المرحوم رضا بك الصلح .

وفيها محكمتان عدلية وحاكمها حاكم منفرد : وشرعية جمعوية . ومخفر للدرك ومركز للتفوق وتنازل بالكتيرباء . وفيها سوق عامة تقام كل يوم اثنين من الاسبوع . وفيها دائرة للبلدية وتقوم في هذه الأيام ببنام عمرانية تشكر عليها . وفيها مركز للبريد والتلغراف وموظف للنفوس ، وألغيت مديريتها في عهد وزارة المرحوم اده . ويطالب سكانها اليوم بتأليف قائممقامية فيا وهي أخرج اليها في هذه الأيام لمركزها العمراني الخطير .

وفي النبطية من المعابد الدينية المسجد الكبير والحنية ومسجدان وللروم الكاثوليك كنيسة .

وفي النبطية عضوان في المجمع العلمي العربي بدمشق الامتاذ اللغوي الشيخ أحمد رضا وهذا العاجز سليمان ظاهر .

أما قلعة الشقيف فيمكنكم مراجعة ما كتبه عنها في المجلد الثالث والعشرين أو الرابع والعشرين من مجلة المجمع العلمي العربي أو تاريخها المنفصل المنشور في المجلد السادس من مجلة العرفان الصيداوية ، هذا ما اتسع لي المجال من كتابة ما تفضلتم بتكليفي به من تاريخ النبطية، وأنا في حالة انحرف صحي حالت دون الاقاضة فيه وحبكم من القلادة ما أحاط

بالجيد ، واتي على كل حال شاكر لكم حسن صنعكم بوضعكم تاريخاً  
لجزين وجبل عامل ، وجزين جزء منه لا يتجزأ وهو البلد الذي يُستخر  
فيه ويتسنى له كل رقي وازدهار .

وفي اختتام أثني على ظنكم الجميل بي متخذاً القصة لتحييتكم تحية  
الاعتراف بعنكم المبرور وتفضلوا بتقبل أسمى الاحترام .

سليمان ظاهر

النبطية ٢١ نيسان سنة ١٩٥٢

الرسالة الثانية وقد ضمنها كلمة عن جزين

النبطية - الجزين - ٢٨ آب سنة ١٩٥٨

حضرة الكاتب الاممي المتفاني الاستاذ جزيني نصر اعترام أعزه الله .  
أما بعد التحية والاحترام فقد آتني كتابكم انكريم يحمل الي من  
حسن ظنكم وكرم عنصركم وأدبكم الرائع ما أعجز عن مكافأته ومقابلته بما  
يستحق من الاعجاب والاكبار ، فأقتصر على الدعاء لكم بالتوفيق .

أما ما ندبتوني اليه من كتابة ما عثرت عليه من تاريخ بلدكم الراقى  
لاهتمامكم بوضع تاريخ له وفاء بحق وطنكم ، فقد عز علي بعد أن راجعت  
اخبارات قنيت بها منذ السنين الطوال ما يتصل بتاريخ جبل عامل ومنه  
جزين وتوابعها ، أن لا أجد منه ضالتي المنشودة وهذا هو سبب ارجائي  
الجواب الي اليوم ، وترين طيه كلمة عن جزين مبرزة وتاريخ قلعة الشنيف  
أقدمه هدية لحضرتكم مقدراً في الختام قيمة جهودكم مستمداً لكم منه  
تعالى العون والتوفيق مع قبول الاحترام .

الداعي  
سليمان ظاهر

ثم يعلق على الكتاب الحاشية التالية :

أما ما يتعلق بتاريخ بلدكم الناهض (بكاسين) فلم أعثر على شيء  
يتعلق به والمكبة العامية وما حوت من نفاثات المؤلفات العامية على اختلاف  
فنونها فقد جعل جلتيها (الجزائر) وقوداً لأفراق عكام ، ويزوي بعض  
سلفنا أنها أعتها عن الوقود مدة سبعة أيام ، وبذلك ذهب جل ما يمكن  
ان يتخذ مصبراً لتاريخ جبل عامل ، واتنا من نحو سبعين عاماً أي مدة  
ابصارنا النور، تبحث عما استيقت عليه تلك الأيام المظلمة من تنف حنا

وهناك خا ماس بذلك التاريخ الخافل في الشون والشجون ، وفي هذه الآونة القريبية عثرت في مكتبة الحاج ابرهيم الزين في بناية ثابت في بيروت على كتاب (الحركات في لبنان) مؤلفه من اخواننا الدرود (يوسف خطار) ذكر بلدكم انطيب في عدة صفحات .

وأنا بطنيكم انخالد الذكر المرحوم انطيب شاكر انخوري فلم أجده عرض لتاريخ منقط رأسه وأول ارض مس جسمه ترابها في كتابه «مجمع المسرات» سامحه الله .

### جزين وتوابعها

من ساكن الشيعة الامامية وهي معدودة في جبل عامل الذي كان بلداً شيعياً صرفاً والتشيع فيه قديم يمتد الى عهد عثمان بن عفان الخليفة الثالث واتبأهم في نشره في هذه الرقعة من بلاد الشام (أو سورية) الصحابي أبو ذر الغفاري وقد نراه اليها عثمان .

وهذا تحديد الجغرافي وبرهانه كما هو معروف في الجانب الغربي من بلاد الشام حيث نهر الفراديس (الأولي) شمالي صيداء شمالاً وما يحاذيه من مجراه الى تومات نبحا وما وراعاها في سفح جبلنا الشامخ من مشرفة شرقاً ممتداً جنوباً على الضفة الغربية من الليطاني الى جسر (برغز) متجنباً الليطاني منه الى الغرب ومنعطفاً الى الجنوب حيث بحر في «ظره» وتحت قلعة شقيف أرنون وملتوبياً بعد قطعه منتهى القروة القائمة عليها الى الغرب من انتاسية تبيلة الى الغرب شاملاً مرج عيون الى باب التنية وبحري الحاصاني ومنها منعطفاً الى الغرب الى ما يحاذي قرية الخالصة من الحولة خارجاً منه وادي الأردن متجنباً غرباً بما يحاذي الملاحة حيث يفصله عن طبرية وحند الوادي المعروف بوادي الغارة ومن نهر الأولي الى الزيب (الكريب) وضواحي عكا جنوباً وما يحاذيها الى وادي الأردن والملاحة شرقاً .

في هذا الجانب بقعة من الأرض تكاد تكون لولا ساحل صيداء وسنول الغازية وسنول صور وطمره وخيام مرج عيون تكون مسلة جبال ويبلغ طويلاً زهاء ثلاثين ميلاً ونيماً بعرض يتراوح بين ٢٤ ميلاً و١٥ تقريباً مما يبلغ مربعه ٣٦٠ ميلاً .

هذه البقعة هي جبل عامل أو عاملة أو جبال عاملة أو جبل الجليل أو الخليل . هذا تحديد جبل عامل الطبيعي لا السياسي وقد عده ياقوت الحموي

في معجمه (صند) القسطنطينية منه ، وتوسع الشيخ محمد الحرّ العاملي الجبلي في كتابه «أمل الآمل» حيث أخرج به بعلبك وكركند نوح من أعمال البقاع .  
وهناك أقاويل لكثير من الجغرافيين قديماً وحديثاً في تحديد هذا الجبل عرضنا ذا في كتابنا (تاريخ جبل عامل) الذي لم نبأ لنا ضبعه فلا يسعنا التعرض ذا بهذه الكلمة المرجزة .

وكانت كل الأقاليم المعدودة من جبل عامل مساكن للشيعة ومنها جزين وما يتصل بها من القرى وكان ذا حكّام منهم . يقول جردت باشا في كتابه «تاريخ الدولة العثمانية» : وفي الجهة الغربية (من لبنان) كان من هذا القبيل (الحكم الطائفي) مقدمو جزين أصحاب رفعة شأن ولكن لما سقطوا بعد ذلك عن مرتبتهم ومنزلتهم صارت قريتهم (جزين) لقباً لهم وصاروا يعرفون بمقدمي جزين .

وحوالاً المتقدمين من سكّان جزين التمداء، وبعد تغلب الحكم الاقطاعي الذي بلغ الذروة في عهد الاقطاعيين الجبلانيين والمعنيين والشهابيين في الجبل اللبناني وغيره من ديار الشام، أخذ حكمهم ينتقص من سائر أطرافه الى ان قضي عليه وانجلي عنه أهله ، وذلك الحكم المتبقي كان قائماً على التنافر واتقاد جذوته بين ابناء أدياته وبالله : فخلت جزين من السكّان الشيعيين حوالي سنة ١٢٥٥ هـ . ١٨٣١ م وتفرقت في مختلف البلاد العاملة الجنوبية والشمالية وبعض قرى لبنان : ولكن بعض القرى النائية لجزين أنت من الجلاء من ساكنها كضرمي والريمان وسليخ واللريزة وكفرحوتة .

### المعاهد العلمية في جزين وجبل عامل

العلم ونشره واشادة معاهده ولائد الأمن واستتابه . وفي غفلة من الأيام واضطهاد الحكّام كاد يكون اول بلدة شيّدت دعائمه في جبل عامل مدينة جزين ، وكانت لهذا البلد شهرته الواسعة ومكاته العلمية في نفوس الشيعة في مختلف أقطارهم وإليك شاحداً عليه .

ان بعض شيوخ علاه جبل عامل الشيخ جمال الدين بن الحسام أبي القيث العاملي كان حياً سنة ٦٦٩ هـ ١٢٩٩ م كان فاضلاً شاعراً من أهل أواخر المائة السابقة .

ذكره الذهبي في مختصر تاريخ الاسلام فيما حكى عنه في اثناء ترجمته .

أبو القاسم بن الحسين بن العمود الأسدي الحلي. قال عن  
أبي القاسم المذكور : انه لما مات في جزين رثاه ابراهيم بن الحسام  
أبي الغيث بأبيات أوحا :

عرج بجزين يا مستبعد النجف      فنشبل من حلتي يا صاح شيرخني  
وعن أبي ذر في كنوز الذهب في تاريخ حلب عند كلامه على مدرسة ابن  
الزيب انه قال : لما توفي ابو القاسم المذكور رثاه الجلال ابراهيم العمالي فقال :

عرج بجزين يا مستبعد النجف      فنشبل من حلتي يا صاح شيرخني  
نور ثوى في ثراها فاستار به      وأصبح الترب منها معدن الشرف  
فلا تلومن ان خفتم على كبدي      صبراً ولو انها ذابت من اللثف  
لئل يومك كان الدمع مدخراً      بالله يا مقلتي سخي ولا تنفسي  
لا تحسبن جود دعي بالبا سرفاً      بل شح عيني محسوب من السرف

فان وهي أكثر من هذه الأبيات. ولما بلغت هذه الأبيات جمال الدين  
محمد بن يحيى بن مبارك الحمصي وهو من أكابر أهل مذهبه قال راداً  
على ناقصها :

أرى تجاوز حد الكفر والسرف      من قاس مقبرة ابن العمود بالنجف  
وأكبر عالم نشأ في جزين وبذل      قصارى احتامه في مدرستها الكبرى  
وحول آيا الرحلة حتى عن مدارس      العراق من كثير من الأقطار الأمامية  
الإمام الشهيد ابو عبدالله محمد بن جمال الدين مكّي بن شمس الدين محمد  
العمالي الجزيني المستشهد ظلماً وعدواناً بوشايات مثيرة للعصيات المذمبية في  
ذلك العصر المظلم : وببعد حبه بقلعة دمشق في عهد دولة بيدمير وسلطنة  
برقوق. قتل سنة ٧٨٦هـ ١٣٨٤م قتلاً بالسيف ثم بالرجم فالاحراق. ولكن  
ذلك المعهد العلمي لم يزل سالكاً طريقته المثلى في نشر العلوم المعروفة على  
اختلاف فنونها : ولهذا الإمام عقب يعرف بلقب شمس الدين تشرقوا بعد  
استئصال الحوادث الناشئة عن الحكم الاقطاعي في مختلف الأقطار وفي  
كثير من قرى البشارتين الشمالية والجنوبية من جبل عامل وفي العراق وإيران  
وحلب : فلم تنقطع منهم سلسلة العلم والأدب الى يومنا هذا .

هذه لمحة خاطفة من تاريخ جبل عامل وجغرافيته مما اتسع لنا وقتنا  
الحافل بالمشاغل .